

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ،

## تفسير مجاهد - مقدمة

— للاستاذ الشيخ عبدالرحمن  
الطاهر السورتى

قام الشيخ عبدالرحمن الطاهر السورتى بتحقيق تفسير مجاهد التابعى الثقة المفسر المحدث القارى رحمه الله (المتوفى سنة ١٠٤٠) وقد بذل مجهوده المخلص فى اعداده و اصداره تعميما للفائدة - و ترجو الادارة أن توالى نشر الكتاب كله قسطا قسطا ان شاء الله العزيز -  
( — التحرير )

الحمد لله رب العلمين، ارسل رسله و أنزل معهم الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط، و أمرهم بتلاوة الكتاب حق تلاوته لعلمهم يفلحون - و حضهم على التفكير و التفقه فيه و تدبره و الاستنارة بنوره و اوجب عليهم الاهتداء بهديه و الحكم بما انزل الله فيه و اثنى على الذين يفهمون ما يتلونه من الكتاب و يجتهدون لاستنباط الاحكام و يعملون بما يتلونه و ذم الذين يعرضون عن كتاب الله و لا يفهمونه و يتلونه و لا يطلعون على حكمه و معانيه و يحملونه كحمل الحمار اسفارا و كذلك انكر على الذين يتركون تدبره و يضربون عن التفكير فيه فقال : أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها (محمد : ٢٤) و لا يمكن تدبر الكلام بدون فهم معانيه . و استدل ابن تيمية بقوله تعالى : انا انزلناه قرآنا عربيا لعلمكم تعقلون (يوسف : ٢) قائلا : و عقل الكلام متضمن لفهمه - و من المعلوم ان كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرد الفاظه، فالقرآن أولى بذلك، و أيضا فالعادة تمنع ان يقرأ قوم كتابا فى فن من العلم كالطب و الحساب و لا يستشرحوه فكيف بكلام الله الذى هو عصمتهم و به نجاتهم و سعادتهم و قيام دينهم و دنياهم - ١

(١) مقدمة فى اصول التفسير لابن تيمية : ٣، طبع بلاهور -

فاستبق المسلمون فهم القرآن و تلاوته و تنافسوا في تدبره فكان اول من اجتهد في تدبره الرسول صلى الله عليه وسلم و أصحابه الكرام و كانوا يقومون لله مشني و فرادى و يتفكرون في كتاب الله و آياته ثم تبعهم التابعون و من تبعهم باحسان رضى الله عنهم - و كان عمر رضى الله عنه يعقد المجالس ليبتلى ما عند المسلمين من فهم القرآن و يوجه اليهم الاسئلة ليعرف ما عندهم من قوة الاستنباط و كان رضى الله عنه يامر المسلمين بان يعلموا اولادهم اللغة العربية و النحو ٢ -

ثم ان الله جل و علا قد بدأ بنفسه فيبين للناس آياته و قال في كتابه : قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون - (سورة الحديد : ١٧) - و ثنى بالرسول لبيبنوا فقال عز من قائل : وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه لبيبن لهم (سورة ابراهيم : ٤) و ثلث فواجب على كل من اوتى الكتاب ان لا يكتمه و ان يبين للناس ما بين الله لهم و ذم الذين يكتمون الكتاب و لا يبينونه فقال سبحانه و تعالى : ان الذين يكتمون ما انزلنا من البين و الهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا و اصلحوا و بينوا فاولئك أتوب عليهم و انا التواب الرحيم : (البقرة : ١٥٩ و ١٦٠) و قد أخذ الله من الذين اوتوا الكتاب ميثاقا لبيبنوه فقال تبارك و تعالى : ” و اذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه (آل عمران : ١٨٧) فآله سبحانه و تعالى قد بين و ارسل الرسل لبيبنوا و أشركنا في التبين ، فاستوى السلف و الخلف في هذا الامر، فما هذه كتب

(١) فقد روى الطبرى عن ابن عباس ان عمر رضى الله عنه كان يديه فقال له عبدالرحمن ان لنا أبناء مثله فقال عمر : انه من حيث تعلم، قال فسأله عمر عن قول الله : اذا جاء نصر الله و الفتح... السورة، فقال ابن عباس : أجله أعلمه الله اياه، فقال عمر ما أعلم منها الا مثل ما تعلم (تفسير الطبرى في سورة النصر) -

(٢) عن عمر رضى الله عنه : تعلموا الفرائض و السنن و اللحن كما تعلمون القرآن (انظر لسان العرب في مادة لحن - و الفاروق للعلامة شبلى ج ٢ : ١٢٠ طبع سنة ١٣٧٦ هـ باعظمكره -)

التفاسير الضخمة و ترجمات القرآن الى لغات العالم المختلفة الا آثار السلف التي تدلنا على سيرهم المتواصل في حقل تبينهم الكتاب و تدعونا الى أن لا نألو في تدبر القرآن و لا ندخر وسعنا و نجتهد غاية الاجتهاد في سبيل هذا التبيين قصدا مخلصا الى الحق قرب مبلغ اوعى من سامع -

انما العلم عند الله، وما اوتينا من العلم الا قليلا، و امر الله رسوله ان يدعوه فيقول : رب زدنى علما ”(سورة طه : ١١٤) و المسلمون كلهم شركاء في هذا الدعاء فالعلم لا يزال يزيد و لا ينتهى الى قوم دون قوم و عند الله فضل و زيادة، و لا يضيع أجر المحسنين، ولو كان العلم مقصورا على قوم لما كان لهذا الدعاء معنى، فان كل ما عند الناس من العلوم فهو معلوم و لا تكون الزيادة في العلم الا ما اضيف الى المعلوم - و كل ما ترك لنا اسلافنا من العلوم فهو رأس علمنا و لا يطلق عليه اسم الزيادة الا بعد أن نضيف اليه جديدا مستنبطا منه او مما ليس منه و قد عرف السلف هذه النكتة و علموا ان العلم يزداد و يتوسع بمر الزمان و في تعليم الله ايانا هذا الدعاء حكمة تحضنا على اكتشاف ما غاب عنا من العلوم و المعارف -

و مما يدلنا على ان فهم القرآن يزيد بزيادة العلوم و مر الزمان قول من علق على قول عبدالله بن مسعود رضى الله عنه حين قال ابن مسعود رضى الله عنه في عبدالله بن عباس : ”نعم ترجمان القرآن عبدالله بن عباس، و قد مات ابن مسعود في سنة ثنتين و ثلاثين و عمر بعده ابن عباس ستا و ثلاثين سنة - فما ظنك بما كسب من العلوم بعد ابن مسعود ؟ ١

انظر كيف تبين الجملة الاخيرة : ”فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشى : ٨ و مقدمة في اصول التفسير لابن تيمية طبع ببلههور في المكتبة العلمية : ٣١ -

مسعود؟ ، ان مر الزمان يزيد فى العلوم التى تكسب معرفة القرآن و تزيل الغواض والحجب التى تحول دون تفسير القرآن - فقد قال الله جل و علا - ان هو الا ذكر للعلمين - و لتعلمن نباه بعد حين (ص : ٨٧ و ٨٨) -

ان القرآن كتاب الله و كلامه و كما انه ليس لله نهاية فكذلك لانهاية لفهم كلامه و انما يفهم كل بمقدار ما يفتح الله عليه، و الحق ما قال سهل بن عبدالله التستري : لو أعطى العبد بكل حرف من القرآن الف فهم لم يبلغ نهاية ما اودعه الله فى آية من كتابه ٢ -

و عند ما نطالع كتب التفسير نجد المفسرين الاولين يبذلون جهودهم فى شرح الكلمات و معانى المفردات و حل مشكلات القرآن و غريبه و بيان اختلاف القراءات و سرد الاسرائيليات و القصص التاريخية و شئ من القواعد النحوية و الصرفية و سبب النزول و النسخ و المنسوخ - و قليل منهم يتعرضون للاحكام و المسائل الفقهية - و قد جمع الطبرى فى كتابه تفسير الاولين و هو نموذج كامل لتفسيرهم ، غير ان الطبرى يذكر الآيات ثم يفسرها بما عنده من علم القرآن ثم ياتى بالاحاديث و الآثار و اخيرا ينتقد الاحاديث و الآثار انتقادا من لا يخاف فى الحق لومة لائم و لا يرى المفسرين الا رجالا يجتهدون فيخطئون أو يصيبون - و تفرع التفسير فالمحدث يفسر بالرواية و الفقيه يفسر بما فيه من الاحكام و المسائل الفقهية، و اللغوى يقول فى غريبه و مشكله و الفلسفى يتكلم فى فلسفته و الصوفى يذكر فيه احواله و ما يجد فى باطنه و كذلك فان لكل ذى علم فيه مقالا و لكل ذى فهم فيه رأى - وقال الالوسى : و العجب كل العجب سما يزعم ان علم التفسير مضطر الى النقل فى فهم معانى التراكييب و لم

ينظر الى اختلاف التفاسير و تنوعها و لم يعلم ان ماورد عنه صلى الله عليه وسلم  
كالكبريت الاحمر ١ -

و قال الامام الغزالي رح : تحريم التكلم بغير المسموع باطل اذ لا يصادف  
السمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا فى بعض الآيات و الصحابة رضى الله  
عنهم و من بعدهم اختلفوا اختلافا كثيرا لا يمكن فيه الجمع و يمتنع سماع الجميع  
من رسول الله صلى الله عليه وسلم و الاخبار و الآثار تدل على اتساع معانيه، قال عليه  
السلام لابن عباس : اللهم فقهه فى الدين و علمه التاويل - فلو كان مسموعا فلا وجه  
للتخصيص، و قال عزوجل : "لعلمه الذين يستنبطونه (النساء : ٨٣) و قال ابو  
الدرداء : لا يفقه الرجل حتى يجعل لقرآن وجوها، و قال على رضى الله عنه : لوشئت  
لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب ١ -

ان القرآن كتاب الله يهدى الناس فى كل عصر حسب مقتضياته الى ما فيه  
مصلحتهم و نجاحهم فعلى من يريد الاهتداء به ان يعرف المقتضيات العصرية و المتطلبات  
الحاضرة و مدى تطور العلوم فى زمانه ثم ليتفكر فى آياته يجد الله عليما خبيرا، و حيث  
ان القافلة الانسانية لا تزال سائرة الى الامام و رائد الاسلام يرفع شأنها و ينمى اسكانياتها  
و يدعوها الى الصراط المستقيم الذى ينتهى الى الله فهى دائما فى صعود و ارتقاء  
فكل ماترى فى الناس من النشاط لنيل العدل و احقاق الحق و رفع مستوى الانسانية  
و توحيدها بوحدة الله و اعطاء كل ذى حق حقه و اخراج الناس من الظلمات الى النور  
و الامر بالمعروف و النهى عن المنكر و استواء بنى آدم أمام الله و تخليصهم من برائن

(١) روح المعانى للآلوسى ج ١ : ٦ -

(١) تبصير الرحمان و تيسير المنان للعلامة على بن احمد المهازمى ج ١ : ٥ و هو ملخص ماكتبه

الامام الغزالي رحمه فى احياء علوم الدين ج ١ : ٢٩٧ - ٢٩٨، طبع بمصر سنة ١٣٥٨ هـ -

المستبدين الطاغين والمستعمرين و منح الحريات و الغاء الاكراه و الاجبار و الظلم و العدوان و تحرير الانسانية من جميع الاوهام و الخرافات و وضع الاغلال و الاصر عنها و رفع شأن العلم و العلماء و بث روح الاحسان بين الناس و تنشيطهم على اعمال العقل و التفكير و البحث و اتمام مكارم الاخلاق ان هي الا من آثار هذا الكتاب الجليل و أشعة هذا السراج الوهاج -

ان القرآن لم ينزل دفعة واحدة و لا يطلب من قارئه ان يختمه من اوله الى آخره فى مدة ما غير انه يامرنا ان نقرأ منه ما تيسر لنا و ان نتلوه حتى تلاوته و ان نتدبره و نحكم به و نعمل بما فيه و ان نقيمه و طبيعى ان أوامر القرآن كلها لا تنفذ فى وقت واحد و انما تنفذ حسب الاحوال و مقتضيات، فلصفح و العفو احوال غير احوال القتال و الحرب و لغلب المائة الفا احوال لا توافق احوال غلب المائة مائتين - و كل آية من آياته مفتوحة لمن اراد ان يتذكر او يخشى -

و تكلم العلماء فى نظم القرآن فمنهم من بالغ و منهم من قصر - اما نظمه عندى فكنظم اعضاء الجسد او كائى منظر من مناظر الكون فهو نظم احسن الخالقين لا ترى فى خلقه من تفاوت و ان كررت النظر و رجعت البصر مرارا، و ليس لنا الا أن نجعل افكارنا و عقولنا فى معرفة حكمته اذ لا يمكن لنا ان نضع الاذن مكان العين -

لقد أحكم الله نظم القرآن و جعل فى معانيه انسجاما حتى ان كل آية أو سورة صغيرة تراها منظومة فى سلك غاياته و لها علاقة قوية فى التوجيه الى الغرض الاسمى الذى هو نفع الناس الشامل و مصلحتهم العامة و فلاحهم فى الدارين و سعادتهم فى الدنيا و الآخرة - فالقرآن من حيث قرأته يذكرك الله و يرغبك فى الخير - يامرک بالمعروف و ينهك عن المنكر و يجعل نورك يسعى بين يديك، فهو كما قال الشاعر:

كالشمس من حيث التفت رأيتها تهدى الى عينيك نورا ثاقبا

و اختلف العلماء فى وجوه اعجاز القرآن و انما اعجازه عندنا فى رسالته العليا النافعة للناس كافة تدعوهم الى خيرهم و مافيه صلاحهم و سعادتهم الدنيوية و الاخروية، الرسالة التى تبعث الحياة و تجعل القافلة الانسانية مسرعة فى سيرها الى الصراط المستقيم الى ما هو انفع و احسن للناس اجمعين، لانها رسالة للعلمين الى يوم الدين لا تخص امة دون امة و لا عصرا دون عصر، ولا ارضا دون ارض، فقد قال الله تعالى : ان هو الا ذكر للعالمين (يوسف : ١٠٤) وقال تعالى : و اوحى الى هذا القرآن لانذركم به و من بلغ (الانعام : ١٩) -

هذه الرسالة لو نقلت بأمانة فى أى لغة من لغات العالم ليكون لها فى ناطقيها وقع مثل وقعها فى العربية، فهناك سلمان الفارسى كان يترجم القرآن و يفسره بالفارسية و كان لكلامه تاثير فى الفرس و قال الاستاذ المودودى : يمكن ترجمة القرآن من اللسان العربى المبين الى اللغة الاردية المبينة، فالمطلوب من تبليغ ما انزل الله الينا، تبليغ رسالات ربنا الى الناس كافة و ذلك لا يقصر على لغة واحدة بل تحيط باللغات كلها - و الواجب علينا ان نبليغ رسالات ربنا الى الناس بلغاتهم المفهومة و من المعلوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ارسل المكاتيب الى الملوك لم يك اولئك الملوك يفهمون اللغة العربية فكان يتوسط بينهم التراجم فيفسرون هذه المكاتيب بلغاتهم المفهومة و بذلك ادى الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان واجبا عليه من تبليغ رسالات ربه فعلمنا بذلك ان الامة المسلمة لاتؤدى ما يجب عليها من تبليغ رسالات ربه الا بعد بث الترجمات، لان التفاسير و التراجم كلها وسائل الى تبليغ الرسالات - ولو

كان اعجاز القرآن فصاحته و بلاغته في العربية فحسب كيف آمن غير العرب به و كيف كان لكلام الله وقع في نفوس العجم -؟ و نعوذ بالله من أن أريد بهذا النيل من كرامة اللغة العربية و ازدراءها و انا معروف في بلادى بتقديرها و التعصب لها و مؤمن بان أحدا لا يرتقى من علم التفسير ذروته و لا يمتطى منه صهوته الا اذا كان متبحرا في علم اللسان مترقيا منه الى رتبة الاحسان و ان احدا من المترجمين او المفسرين لا يستطيع أن يؤدي ما عليه من واجبات الترجمة و التفسير الا بعد ان يتقن اللغة العربية و اللغة التي يريد ان يترجم اليها او يفسر بها و لا يمكن تدبر القرآن الا لمن اتقن اللغة العربية و بقدر معرفته اللغتين و فهمه من القرآن يصيب أو يخطئ<sup>٢</sup> -

فالقرآن معجزة لما في رسالته من تعليمات عليا و ارشادات سميا و غايات نبيلة و اغراض شريفة و اهداف قيمة تزيد الايمان و تبعث المؤمنين على الاعمال الصالحة و مكارم الاخلاق - و ترقى عقول الناس و تزكى نفوسهم و تطهر المجتمع تطهيرا - و ليس هناك كتاب يسامى كتاب الله في اهدافه و معانيه و غاياته و لن يكون ابدا و كيف يساويه كتاب في الهدى و الحكمة و هو تنزيل من لدن حكيم لطيف خبير

(١) ثم انى ارى تعلم اللغة العربية فريضة على كل مسلم و مسلمة لان قراءة القرآن و تلاوته فرض عين على المسلمين كلهم و لا تتحقق القراءة الا بعد معرفة اللغة العربية و ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب - كذلك ارى الحكمة في انزال القرآن باللغة العربية أن يتخذها المسلمون لغة رسمية فيما بينهم يتكلمونها عند كل اجتماع عالمى كالحج و المؤتمرات الدولية الاسلامية و فى اداء واجباتهم الدينية كالصلاة و الحج و قراءة القرآن - ولم يترك الله المسلمين ان يختلفوا فى اختيار لغتهم الدينية و يفتحوا بذلك باب التفرق و الخلاف -

(٢) فقد اختلف المفسرون و المترجمون اللذين يتقنون اللغة العربية فى الترجمة و التفسير فقد اختلفوا فى معنى الصيد فى الآية "حرم عليكم صيد البر مادمتم حرما، (المائدة : ٩٦) هل هو لحم الصيد أم الاصطياد و الاقتناص - انظر الطبرى تحت تفسير الآية المذكورة - وقد ترجمت الآية : يا ايها النبى حسبك الله و من اتبعك من المؤمنين (الانفال : ٦٤) بطريقتين، الاولى : ان النبى حسبه الله و المؤمنون الذين اتبعوه و الاخرى : يا ايها النبى حسبك و المؤمنون الذين اتبعوك الله - و من طالع التراجم و التفاسير مطالعة مقارنة يجد امثلتها كثيرة و ايس معناه أن نترك الاجتهاد و نقعد عن التبليغ فان مالا يدرك كله لا يترك كله -



الذى يعلم ما ظهر و ما هو خاف فى النفوس - و من فى البشر يتجاسر  
 فيستوى على العرش و يطوى السموات يمينه و يدعى انه خلق السموات  
 و الارض و ما بينهما و هو رب العالمين يعلم من خلق و لا يخفى عليه شئ فى السموات  
 و الارض و هو الاحد الصمد لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا احد، و ليس كمثله  
 شئ . و ذلك ما اراد الله بقوله : ”فادعو شهداءكم من دون الله“، (البقرة : ٢٣)  
 و اخيرا نختم كلامنا على الاعجاز بعباراة العلامة شبلى النعمانى المغفورله :

”لو قيل ان وجه اعجاز القرآن المجيد هو فصاحته و بلاغته لكان هذا الاعجاز  
 ما لا يختص بالنبوة لان الانشاء ايس بخاصة النبوة الا ان يقال أن وجه اعجاز القرآن  
 هو تزكية نفوس الناس و ما فيه الموعظة و الحكمة فذلك ما يكون اعجازا كما هو من  
 خاصة النبوة ايضا هذا هو الحق فماذا بعد الحق الا الضلال ١ -

ان كل تفسير نقل من السلف الى الخلف يطلق عليه كلمة المنقول او الماثور  
 و ليس التفسير المنقول مقصورا على الرسول و الصحابة و التابعين - و ليست هذه  
 الكلمة ضد المعقول فى كل حال فان كثيرا من التفسير المنقول كان فى اول الامر من  
 آراء العلماء و نتيجة اجتهادهم و تدبرهم و خلاصة علمهم و فهمهم و زبدة عقلمهم  
 و فقههم فمن الممكن ان نقول ان بعض التفسير منقول من جهة و معقول من جهة و لو  
 قلنا ان كل تفسير قديم كان فى البدء مبني على الرأى و الاجتهاد حسب ما كان عند  
 المتقدمين من العلم و الفقه لما قلنا شططا و اختلاف آرائهم و آثارهم حجة لنا -  
 ثم ان تفسير الاقدمين صار لمن بعدهم منقولاً، و حب القدامة البسها شعار القدامة  
 و مادام هذا من عادة الناس فلنتنظر اليوم الذى تصير فيه آراؤنا لمن جاء بعدنا منقولة

وقال الشيخ العلامة رشيد رضا المغفور له : ان اكثر ما روى في التفسير الماثور أو كثيره حجاب على القرآن و شاغل لتاليه عن مقاصده العالية المزكية للانفس المنورة للعقول ، و هذا القول يخالف قول بعض الناس ان السلف لم يغادروا لنا شيئا من تفسير القرآن فليس علينا الا ان ننظر في كتبهم و اقوالهم و آثارهم و نستغنى بها - ثم ان عمل الخلف يخالف قولهم لان كل خلف يفسر اكثر من السلف و مع ذلك فان كثيرا من حكمه و معارفه لم يكشف عنه اللثام بعد و ذلك ما يدعوننا الى فهم القرآن و تدبره و الاعتبار بآياته و الاستنباط منه - و التفسير دائما مرآة لما في عصره من التقدم العلمي كما قال الاستاذ احمد امين المغفور له :

و يظهر ان تفسير القرآن كان في كل عصر من العصور متأثرا بالحركة العلمية فيه و صورة منعكسة لما في العصر من آراء و نظريات علمية و مذاهب دينية من ابن عباس الى الاستاذ الشيخ محمد عبده، حتى لتستطيع اذا جمعت التفاسير التي الفت في عصر من العصور ان تتبين فيها مقدار الحركة العلمية و اى الاراء كان سائدا شائعا و ايها غير ذلك ٢ ان التفسير يتطور بتطور العلوم و يتدرج الى قبول الافكار العلمية و الفلسفية و فى تفسير السلف ما يدل على تقدمه بالتدرج و ان باب التفسير مفتوح على مصراعيه لمن يتدبر آيات القرآن فالعلوم تزداد يوما فيوما و ان رقى العلم و ازدياده يرفع مستوى التفسير، فالمؤرخ الخبير يفسر ما فى القرآن من التاريخ أحسن من الفقيه الذى لا يعرف التاريخ و الايام و الوقائع و ان الطبيب الحاذق اقدر على شرح ما فى القرآن من مراحل خلق الانسان، و أن الطبيعى الماهر احق بشرح ما فى القرآن من مسائل الطبيعة و كنا يعلم ان العلوم لا تزال فى ازدهار و انتشار و مادام

(١) تفسير المنارج ١ : ١٠ -

(٢) فجر الاسلام لاحمد امين : ٢٠٦ طبع سنة ١٣٧٤ هـ -

العلم فى تطور فلكل عالم ان يقول على قدر علمه و لا يكلف الله نفسا الا وسعها -  
فقد قال القاضى شمس الدين الخويى :

”أما القرآن فتفسيره على وجه القطع لا يعلم الا بان يسمع من الرسول عليه  
السلام و ذلك متعذر الا فى آيات قلائل، فالعلم بالمراد يستنبط بامارات و دلائل،  
و الحكمة فيه ان الله تعالى أراد أن يتفكر عباده فى كتابه، فلم يامر نبيه بالتنصيص  
على المراد و انما هو عليه السلام صوب رأى جماعة من المفسرين فصار ذلك دليلا  
قاطعا على جواز التفسير من غير سماع من الله و رسوله ١ -

فالعلوم لا تزال فى تقدم و انتشار و المقتضيات العصرية تضطرننا الى ان نفسر  
القرآن بحسب مستوى تطورنا العلمى فنحن فى هذا العصر اشد الناس احتياجا الى التفسير  
فقد برزت المشاكل المتجددة، و المسائل المستحدثة الاجتماعية لا تزال تتحدانا لحلها  
و لم ينقل الينا فيها عن السلف تفسير لان تلك المسائل لم تظهر فى عصورهم -  
فالعلماء المتقدمون ما كانوا يعززون استنباطهم و استخراجهم الى الرسول و الصحابة  
و التابعين، و قال ابو حيان الاندلسى :

”وقد جرينا الكلام يوما مع بعض من عاصرنا فكان يزعم ان علم التفسير مضطر  
الى النقل فى فهم معانى تراكيبه بالاسناد الى مجاهد و طاوس و عكرمة و اضرابهم و ان  
فهم الآيات متوقف على ذلك و العجب أنه يرى أقوال هؤلاء كثيرة الاختلاف  
متباينة الاوصاف متعارضة بنقض بعضها بعضا، و نظير ما ذكره هذا المعاصر انه لو  
تعلم احدنا مثلا لغة الترك افرادا و تركيبا حتى صار يتكلم بتلك اللغة و يصرف فيها  
نشرا و نظما و يعرض ما تعلمه على كلامهم فيجده مطابقا للغتهم قد شارك فيها فصحاءهم

ثم جاءه كتاب بلسان الترك فيحجم عن تدبره و عن فهم ما تضمنه من المعاني حتى يسأل عن ذلك سنقرا التركى او سنجرا ترى مثل هذا يعد من العقلاء ؟

و كان هذا المعاصر يزعم ان كل آية نقل فيها التفسير خلف عن سلف بالسند الى ان وصل ذلك الى الصحابة، و من كلامه ان الصحابة سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسيرها هذا و هم العرب الفصحاء الذين نزل القرآن بلسانهم، و قد روى عن على كرم الله وجهه و قد سئل : هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء ؟ فقال : ما عندنا غير ما فى هذه الصحيفة أوفهما يؤتاه الرجل فى كتابه - و قول هذا المعاصر يخالف قول على رضى الله عنه، و على قول هذا المعاصر يكون ما استخرجه الناس بعد التابعين من علوم التفسير و معانيه و دقائقه و اظهار ما احتوى عليه من علم الفصاحة و البيان و الاعجاز لا يكون تفسيراً حتى ينقل بالسند الى مجاهد و نحوه، و هذا كلام ساقط ١ و انظر الى القرطبي كيف يبين لنا هذا المعنى :

أما قول بعض العلماء ان التفسير موقوف على السماع لقوله : فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله و الرسول (النساء : ٥٩) و هذا فاسد، لان النهى عن التفسير لا يخلو اما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل و المسموع و ترك الاستنباط، أو المراد به امر آخر، و باطل أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد فى القرآن الا بما سمعه - فان الصحابة رضى الله عنهم قرأوا القرآن و اختلفوا فى تفسيره على وجوه، و ليس كل ما قالوه سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم - فان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس و قال : اللهم فقهه فى الدين و علمه التاويل، فان كان التاويل مسموعاً كالتنزيل فما فائدة تخصصه بذلك ٢ -

(١) البحر المحيط لابی حبان الاندلسى، ج ١ : ٥ -

(٢) تفسير القرطبي ج ١ : ٣٣ -

نعم هناك بعض علماء من الصحابة و من تبعهم كره ان يقول فى التفسير و كان سبب خوفه ان يقول فى القرآن ما لا يريد الله أو ان يقول فيه بغير علم و لا بصيرة و مع ذلك فان كلهم كانوا يخافون ان يكتموا العلم لا سيما علم التفسير الذى يتعلق بالقرآن و بيانه و قد اوعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم أنه من كتم علما علمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار -

و من ناحية أخرى نرى العلماء قد أفرطوا فى التفسير و جاوزوا حد الاعتدال و قالوا فيه كل ما علموه من غير تبين و تأمل حتى قال ابواسحق : لا تسترسلوا الى كثير من المفسرين و ان نصبوا انفسهم العمامة و أجابوا فى كل مسألة فان كثيرا منهم يقول بغير رواية على غير اساس و كلما كان المفسر اغرب عندهم كان احب اليهم ٢ -

ان كل هذه الحقائق المذكورة لشجعت الامة المسلمة على الاجتهاد فى فهم القرآن و تدبره فى كل عصر حسب مقتضياته و مستوى علمه، و اجماع الامة فى كل جيل على تفسير جديد حجة قوية على ان هناك كلاما جديدا فى التفسير لم يدرك القدماء و الا فما نفع التكرار ؟

و ذلك ما أورثنا كتب التفسير التى لا تعد ولا تحصى، و لو آمن سلفنا باغلاق باب التفسير بعد النبى صلى الله عليه وسلم و أصحابه و التابعين لحرمتنا هذا التراث التفسيري الضخم الذى لا يزال يتدرج الى الرقى و الصعود - فالتفسير لم يكمل فى زمن ماض و لا يزال يترقى الى كماله و غايته و ما دام الانسان و فكره و علمه فى صعود مستمر و رقى متواصل لن يكمل التفسير، فالقرآن كالماء الذى تدور حياة الانسان

(١) جامع الترمذى مع شرحه تحفة الاحوذى ج ٣ : ٣٧٠ طبع بيروت -

(٢) كتاب الحيوان للجاحظ، تحقيق و شرح عبدالسلام مدهارون ج ١ : ٣٤٣ -

حوله منذ فتح عينيه و كان يروى به غلته و يطهر به جسده و ثيابه و يسقى به جناته و مزارعه الى ان جاء هذا العصر و علمنا ما فى الماء من قوات كاسنه فولدنا منه الكهرباء و نورنا به الظلمات و دورنا به الآلات و العجلات ولم يقف الانسان و لم ينه فكره ولسوف يطلع على قواته الاخرى و يقضى بها آرايه المتجددة و حاجاته التى ليست لها نهاية - و علم التفسير عندنا كزراع أخرج شطأه فأزره فاستغلظ و هو لا يزال يستوى على سوقه ثابت أصله فى الارض الطيبة و فروعه تتصاعد الى السماء و كما ان الماء لم ينته للانسان منافعه الاولى و كما ان الزرع لا قرار له يغير اصوله فكذلك لا بد لمن يفسر القرآن فى هذا العصر ان يستفيد من اقوال المفسرين القدماء أولا ليتقى بها مواضع الزلل و الغلط ثم يتسع له بعد ذلك الفهم و الاستنباط فقد جعل الله القرآن أصلا لجميع ما يحتاج اليه و ليس كله منصوبا فلا بد من الاستنباط و الاستخراج بالرأى -

و هناك متسع فى التفسير لما نرى الآثار المختلفة عن الصحابة و التابعين و من جاء بعدهم و قول المفسرين فى تفسير الآية : جائز ان يكون كذا . . . و جائز ان يكون كذا، و قولهم : ذلك ما ذكر فلان . . . و جائز غير ذلك . . . ١ -

وكل هذا يفتح لنا باب التدبر و الاجتهاد و ان نقول بعد العلم أقوالا اخرى فى تفسير القرآن -

و هناك امثلة كثيرة فى تفسير الطبرى ان الرسول عليه الصلوة والسلام يفسر الآية أو يشرح بعض كلمات الآية ثم يفسر الصحابة او التابعين فيها تفسيراً غيره و ذلك له وجوه اما انهم لم يبلغهم حديث الرسول صلى الله عليه وسلم و تفسيره و اما أنهم لم

يرووه صحيحا ثابتا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق يعتمد عليها واما انهم كانوا يوسعون فيه و يرون لهم الحق ايضا فى تفسير الآتية على غير الوجه الذى روه عن الرسول عليه الصلوة و السلام و اما انهم كانوا يعدون تفسير القرآن امرا اجتهاديا -



(١) انظر فى تفسير الطبرى :

- ١ - سورة البروج الآية : ٣ و تفسير مجاهد -
- ب - سورة الكوثر و تفسير كلمة الكوثر -
- ج - سورة العنكبوت الآية : ٢٩ فى تفسير : و تاتون فى نادىكم المنكر -
- د - سورة الرعد الآية : ٢٩ فى تفسير : طوبى لهم -
- هـ - سورة المائدة الآية : ٩٦ فى تفسير : حرم عليكم صيد البر -
- و - سورة آل عمران الآية : ١٤ ، اختلاف فى مقدار القنطار -